



مطبوعات المجمع

أَبُو شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ وَمُلْحَقُهَا مِنْ أَعْمَالِ
(١٨)

حُجَامُ مَعَ الْمَسَائِلِ

لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ
(٦٦١ - ٧٢٨ هـ)

الْجُمُوعَةُ الثَّامِنَةُ

تَحْقِيقُ
مُحَمَّدٍ عَزِيزِ شَمْسٍ

وَفَقْدَ الشَّيْخِ الْمُفَقِّدِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ الْعَلَامَةِ
بِكَبِيرِ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِي بْنِ زَيْدٍ
(رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى)

مُعَوَّلٌ
مُؤَسَّسَةُ سَيِّدَانِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الرَّاجِحِيِّ الْخَيْرِيِّ

بِإِذْنِ عَالِمِ الْفَوَائِدِ
بِنَشْرِهِ الْفَرْسِيِّ

تَبَعَ لِلْبَيْعِ



مطبوعات المجمع

آثار شيخ الإسلام ابن تيمية وملاحقها من أعمال

(١٨)

جامع المسائل

لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

(٦٦١ - ٧٢٨ هـ)

المجموعة الثامنة

تحقيق

محمد عزيز شمس

وفق المنهج المعتمد من الشيخ العلامة

بكر بن عبد الله بن زيد

(رحمه الله تعالى)

تصویر

مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية

دار عالم الفوائد

للنشر والتوزيع

فصول وقواعد

(من مسودات شيخ الإسلام ابن تيمية)

فصل

في توبة قوم يونس

فصل

في توبة قوم يونس

هل هي مختصة بالقبول دون سائر من يتوب كما تابوا؟

وفي ذلك للناس قولان:

قال كثير من المفسرين^(١) - وربما قيل: قال أكثر المفسرين -: إن الله تاب عليهم بعد معاينة بأسه، وخصَّهم بقبول التوبة في هذه الحال دون سائر الأمم، واستثناهم من الأمم بقوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]، قالوا: وكشَّفُ العذاب لا يكون إلا بعد معاينته، وذكروا قولين: هل رأوا العذاب أو دليل العذاب؟

قالوا: قال أكثر المفسرين: رأوا نفس العذاب بدليل قوله: ﴿لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

وقالت طائفة: رأوا دليل العذاب؛ لأن التوبة بعد معاينته لا تُقبل، ولا فرق في ذلك بين أمة وأمة، بل هذا حكم عام.

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٩١/١٢) وابن كثير (١٧٧٣/٤) والدر المنثور (٧٠٧/٧) والقرطبي (٣٨٣/٨) وزاد المسير (٦٤/٤) ومفاتيح الغيب (١٧١/١٧) وغيرها.

وهذا القول يوافق قول من يقول: ليسوا مخصوصين بقبول التوبة، بل كل من تاب كما تابوا قَبْلَ اللّٰهُ توبته. وهو القول الثاني، وهو الصواب؛ لأن الله سبحانه قال: ﴿فَلَمَّارًا وَبِأَسْنَاءِ قَالُواْ أَمَنَّا بِاللّٰهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ (٨٤) فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بِأَسْنَاءِ سُنَّتَ اللّٰهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ. ﴿[غافر: ٨٤-٨٥]، فأخبر سبحانه أن هذه سنته، وسنته سبحانه لن تجد لها تبديلاً ولن تجد لها تحويلاً، كما قال: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّٰهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّٰهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

وأيضاً فإنه قال: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ إِلَهًا وَلَا الَّذِينَ يُمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا﴾ [النساء: ١٨]. وهذا نفْي عام، ولو كان أحد مستثنى من هذا العموم لكانت أمة محمد أحق بالاستثناء من قوم يونس، فإنهم أكرم الأمم على الله، ونبِيُّهم نبي الرحمة ونبِي التوبة، وقد وسَّع الله لهم في التوبة ما لم يُوسَّعه لبني إسرائيل مع كرامة أولئك على الله. وهاتان الأمتان قد فضَّلَهُما اللهُ على العالمين، فإذا لم يقبل توبة أحدهم إذا حضره الموت فكيف يقبل توبة قوم يونس؟

وأيضاً فإن الله حكيم عدلٌ، لا يُفَرِّق بين المتماثلات ولا يُسَوِّي بين المختلفات، فلا يُفَرِّق بين توبة قوم يونس وغيرهم إلا لافتراق العاملين، وإلا فمن تاب مثل ما تابوا فحكمه حكمهم، وهم إذا تابوا بعد رؤية البأس فهم كغيرهم.

وأيضاً فقد قال موسى في دعائه على قوم فرعون: ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيْنَا أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨] قال الله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩]. ولم يؤمن فرعون حتى أدركه الغرق فقال: ﴿ءَاَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاَمَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، قال الله تعالى: ﴿ءَاَكْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]. فدعاء موسى هذا الدعاء دليل على أنه قد علم حينئذ أن التوبة لا تنفع، ولو جاز أن يُخَصَّصَ من هذا أحد جَوَاز موسى أن تُقَبَّلَ توبة فرعون حينئذ كما قُبِلَتْ توبة قوم يونس، فعَلِمَ أنه كان مستقراً عند موسى أن هذا حكمٌ عامٌ.

وأما ما احتجُّوا به من أن الله كشف عنهم العذاب لما تابوا فهو حقٌّ كما أخبر الله، وسواء كانوا قد رأوا العذاب أو لم يروه، فإن العذاب نوعان: عذابٌ يتيقن معه الموت، وعذاب لا يتيقن معه الموت، فهذا الثاني عذابٌ أيضاً، ومن تاب كشف الله عنه العذاب، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَّصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ، إِلَّا إِنَّمَا طَلَّاهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءَايَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ

عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ فَاغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ [الأعراف: ١٣٠-١٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَتَّيْنُهُ السَّاحِرُ أَذْعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ [الزخرف: ٤٩-٥٠].

فقد أخبر أنه كشف العذاب عن قوم فرعون.

وعذاب الله ثلاثة أنواع:

نوع يكون في الدنيا قبل الموت، فهذا يقبل الله توبة من تاب بعد معينته، ويكشفه عنه.

وعذاب يكون بالهلاك عند المعينة، فهذا لا كرامة فيه، ولا تقبل توبته بعد معينته.

وكذلك عذاب يوم القيامة، فإن الموت هو القيامة الصغرى، قال المغيرة بن شعبة: إنكم تقولون: القيامة القيامة، وإنه من مات فقد قامت قيامته. وشهد علقمة بن قيس صاحب ابن مسعود جنازة، فلما دُفِنَ قال: أما هذا فقد قامت قيامته^(١).

وهذا مذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين

(١) ذكر السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ٤٢٨) هذين الأثرين، وعزاها للطبراني.

وأهل السنة، الذين يُثبتون في البرزخ بعد الموت وقبل قيام الناس من قبورهم عذاباً ونعيماً. وطائفة من أهل البدع تُنكر هذا وينكرون عذاب القبر، فهؤلاء ليس عندهم جزاءٌ إلا في القيامة الكبرى. وبإزاء هؤلاء كثير من المتفلسفة والملاحدة الباطنية ومن وافقهم يُثبتون القيامة الصغرى، وهو معادُ النفس إذا فارقت البدن، وليس عندهم قيامة كبرى يقوم الناس عنها من قبورهم، وإنما يُثبتون تغيير العالم السفلي من حال إلى حال. وهذه القيامة الوسطى التي ذكرها النبي ﷺ في قوله: «إِنْ يَسْتَنْفِذَ هَذَا الْغَلَامُ أَجَلَهُ لَنْ يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(١). يُريد به انخرام ذلك القرن، هكذا جاء مبيناً في الأحاديث الصحيحة.

وعذاب الله هو في هذه القيامات الثلاث، يُعذَّب من يشاء بعد الموت ويُعذَّب كثيراً من الأمم بهلاكهم جميعاً، كما أهلك قوم نوح وعاداً وثمود وغيرهم. وكذلك يُزيل الدُّول، وقد قال: «إِذَا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الْبَهْمِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبَنِيَانِ، فَذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا»^(٢).

والقيامة الكبرى إذا قام الناس من القبور، وانشقت السماءُ وبُستَ الجبالُ، وكان ما أخبر الله به في كتابه. والوعيد في القرآن يتناول هذا وهذا وهذا، والمفسرون يذكرون الأمور الثلاثة.

ومما بيّن ذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا

(١) أخرجه البخاري (٦١٦٧) ومسلم (٢٩٥٣) عن أنس.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠) ومسلم (١٠) عن أبي هريرة، ومسلم (٨) عن عمر بن الخطاب.

يَضْرَعُونَ ﴿[المؤمنون: ٧٦]﴾. فدلَّ ذلك على أنه بعد أن يُصيب الإنسان العذاب تُقبل منه الاستكانة والتضرُّع، كما قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنِ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنتُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ بَلْ إِلَٰهُهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١]. فهذا يُبين أنه قد يكشف العذاب الذي دَعَا الله إليه، كما قال: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّیُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨].

ومما بيَّن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١]، فأخبر أنه يُذيق الناس العذاب الأدنى في الدنيا لعلهم يتوبون، وذلك أن التوبة ترفع العذاب الأدنى عن جميع الناس. وقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦]، وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

وإذا كان القرآن قد فرَّق بين العذاب الذي يستعقبه الموت وبين

غيره وجب الفرق، والمريض تُقبل توبته ما لم يُغرغر^(١) ويُعائِنُ ملك الموت، وإن كان مرضه مخوفاً. فقوم يونس إنما أخبر الله عنهم أنهم لما آمنوا كشف عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا، فبيّن أن العذاب المكشوف كان مما يُعذّب به في الحياة الدنيا لم يكن هو العذاب الموجب للهلاك، ولو لم يفسّر ذلك فلفظ العذاب مجمل، والقرآن قد فرّق بين النوعين، فلا يجوز حملُ هذا العذاب على العذاب الموجب للموت الذي لا يقبل معه توبة، فإنّ في هذا مخالفةً لسائر آيات القرآن ولحكمة الربّ وعدله بلا دليل؛ إذ كان اللفظ المجمل لا يعين أحد النوعين، فكيف إذا كان معه ما يقتضي التعيين أنه كان العذاب الأدنى، وإن كانوا قد عاينوه وأصابهم، فالتوبة بعد هذا العذاب مقبولة، فقد أصاب قومَ فرعون من أنواع العذاب ما ذكره الله، ومع هذا فقد كان يقبل توبتهم لو تابوا ووعدوا بالإرسال، فلما كشف عنهم العذاب نقضوا عهدهم.

وما روي أنه غشيهم العذاب كالغمام الأسود واسودّت أسطحُهم^(٢) ونحو ذلك الله أعلم بثبوتِه، فإن هذا لم يثبت عن النبي ﷺ، وأكثر ذلك إنما يأخذه المسلمون عن أهل الكتاب، وقد نهانا النبي ﷺ أن نصدّقهم أو نكذبهم. لكن مثل هذا العذاب قد يكون تهديداً: إن

(١) كما في حديث ابن عمر الذي أخرجه أحمد (٦١٦٠) والترمذي (٣٥٣٧) وابن ماجه (٤٢٥٣). وإسناده حسن.

(٢) انظر: زاد المسير (٤/٦٥) والدر المنثور (٧/٧٠٧ وما بعدها).

تبتم وإلا أصابكم كُنْتُ الجبل فوق بني إسرائيل، وهذا من أعظم الآيات. قيل لهم: إن أخذتم التوراة وإلا أطبقناه.

ومما يبيِّن ذلك أن القوم لم يَطْلُ مقامَ يونسَ عندهم، بل حين كَذَّبوه وعدَّهم بالعذاب كما نقله هؤلاء، ومثل هذا يكون عذابَ تهديد، كما قد يُصيبُ النَّاسَ من الجذب والجوع ما هو أعظمُ من ذلك، ويُصيبُهُم من الوباء والطاعون ما يُصيبُهُم، والذين عبدوا العجلَ أمرهم الله بقتل بعضهم بعضًا وقَبِلَ توبَتَهُم، ثم بعَثَهُم من بعد موتهم لعلهم يشكرون. وإنما الذي لا يقبل معه توبة ما يقترن به الموت كغرق فرعون ونحوه.

وأما استثناء الله قومَ يونس فهو حجة في المسألة، فإنَّ الله قال:

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ

عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ [يونس: ٩٨]، وقوله: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ استثناء منقطع، وهم قد سلموا أنه منقطع، ودليل ذلك أنه منصوب، ولو كان مثبتًا لكان مرفوعًا في اللغة المشهورة، كما في قوله: ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾

[النساء: ٦٦]، فلما قال: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ كان منقطعًا، كاستثناء في قوله:

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنَهُوتَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا

قَلِيلًا مِّمَّنْ أَجْنَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦]، فإنه منقطع. وكذلك أهل العربية والتفسير قالوا^(١): هو استثناء منقطع، والمعنى: لكن قليل ممن أنجينا

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ١٧٠) وتفسير القرطبي (٩/ ١١٣).

منهم من نهى عن الفساد. وقال مقاتل^(١): لم يكن من القرون من ينهى عن المعاصي والشرك، إلا قليلاً ممن أنجينا من العذاب مع الرسل.

ومما يُبين ذلك أن قوله: ﴿فَلَوْلَا﴾ بمعنى فهلاً، وهي كلمة تحضيض على المذكور وذم لمن لم يفعله^(٢)، والمعنى: فهلاً كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها؟ كما قال: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَهُودٍ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ [هود: ١١٦]، أي لم لا كان فيهم من ينهى وفي القرى من آمن فنفعه إيمانه؟ وهذا يقتضي أن أهل القرى لو آمنوا لنفعهم إيمانهم كما نفع قوم يونس، لكن لم يؤمنوا. وعلى ما قاله المنازعون يكون معنى الآية: ما آمنت قرية فنفعها إيمانها إلا قوم يونس، أو ما آمن أحد عند رؤية العذاب فنفعه إيمانه إلا قوم يونس. فبهذا فسروا القرآن، وليس هذا مراد الله، فإن الله لم يخبرنا أن غير قوم يونس آمنوا وما نفعهم إيمانهم، وأن الإيمان لم ينفع إلا قوم يونس. بل مقصوده أنه لم يؤمن من ينتفع بإيمانه من أهل القرى إلا قوم يونس.

وأيضاً فإن هذا المعنى يقال فيه: فما قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس بصيغة النفي والسلب، لا يقال: فهلاً كانت قرية آمنت بصيغة التحضيض والطلب والاستدعاء والتوبيخ والملام على ترك الإيمان،

(١) كما في زاد المسير (٤/ ١٧١).

(٢) انظر: مغني اللبيب (ص ٣٠٣) والكتب الأخرى في حروف المعاني. وهو أحد وجوه «لولا» الأربعة.

فإن هذه الصيغة أصل وضعها هو للتحضيض لا للنفي، ولهذا قد يفعل المحضوض عليه بعد التحضيض، كما يفعل بعد الأمر، كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ ﴿ [محمد: ٢٠]، ثم قال: ﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مِّنْكُمْ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ ﴿ [محمد: ٢٠]، فأين هذا من هذا؟ أين إخباره بأنهم آمنوا ولم ينفعهم إيمانهم من كونه وبخهم وذمهم على أنهم لم يؤمنوا فينتفعوا بالإيمان؟

ولهذا كان الاستثناء بعده منقطعاً، ولو كان نفيًا وسلبًا لكان الاستثناء معه متصلًا، كقوله: ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴿ [النساء: ٦٦]، فلما قُطِع الاستثناء ونُصِبَ المستثنى عَلِمَ أنه استثناء من نفي وسلب، لكن الكلام تحضيض، فلو اتصل الاستثناء لكان المعنى تحضيضهم على الإيمان إلا قوم يونس، وتحضيضهم على النهي عن الفساد إلا القليل. وهذا يوجب قلب المعنى، فإن الله يحض الجميع على الإيمان وعلى النهي عن الفساد، لكن لما ذكر صيغة للحض العام بين أن هؤلاء هؤلاء فعلوا ما حضوا عليه، فلا يتناولهم الذم، فإن الاستثناء المنقطع قد يكون من الجنس المشترك بين المستثنى والمستثنى منه، كما في قوله: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءَ الظَّنِّ ﴿ [النساء: ١٥٧]، فاتباع الظن مستثنى من المعنى العام المشترك بين العلم والظن، وهو الاعتقاد، فإنه لما قال: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴿ بقيت النفس تطلب: فهل عندهم شيء من الاعتقاد؟

فيقال: ما عندهم إلا اتباع الظن.

وكذلك قوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦]، فإنه استثناء من المعنى المشترك بين الجنة والدنيا، فلما قال: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾ بقيت النفس تطلب: هل ذاقوه في غيرها؟ فقال: لم يذوقوا إلا الموتة الأولى. وكذلك نظائره.

وقد يكون أخص من المستثنى منه، فلما قال: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾ [هود: ١١٦] و﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنْتْ فَنفَعَهَا إِيْمَنُهَا﴾ [يونس: ٩٨] كان هذا تحضيضاً للجميع، والتحضيض أمر مؤكد يقتضي ذم من لم يفعل المأمور وعقابه، ونفس الحَضّ والأمر لا يستلزم الخبر، فإن المأمور لم يفعل ما أمر به، بل قد يفعله وقد لا يفعله، وإذا لم يفعله استحقَّ الذم والتوبيخ. وقد يكون في المحضوضين من فعل، فلما ذكر التحضيض والفاعل مستثنى من التوبيخ لا مستثنى من الحَضّ، فلو قال: ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ و﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ لكان هذا استثناءً من التحضيض، وليس كذلك، وإنما هو استثناء من أخص منه وهو التوبيخ ونفي الفعل، فإنه لما حَضّ الجميع كأنه قيل: فكلُّهم لم يُنَّه، وكلُّهم يستحقون الذم والتوبيخ، فيقال: نعم إلا قوم يونس، وإلا قليلاً.

ومما يبيِّن أن مثل هذا التحضيض لا يستلزم النفي عن الجميع قوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا مَبْتَئِنٌّ

عَظِيمٌ ﴿[النور: ١٦]، وقوله: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢]. وقد كان من المؤمنين من قال لما سمعه: ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا، سبحانه هذا بهتان عظيم. وكثير منهم أو أكثرهم ظنَّ بعائشة خيراً، مثل أسامة بن زيد وجاريتها وغيرهما ممن زكَّاهَا وبرَّأها. فعُلم أن التحضيض لا يستلزم النفي العام.

فلهذا كان قوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾ [هود: ١١٦] التحضيض فيه عام لم يُستثنَ منه أحد، فلم يكن الاستثناء متصلاً، ولكن الاستثناء وقع من ترك المحضوض عليه ولوازم الترك، من الذم والتوبيخ، وهذا الترك قد كان في أكثر المحضوضين، وقد صار يُفهم منه أن هذه الصيغة لم تُستعمل إلا إذا حصل تركٌ من جميع المحضوضين أو من بعضهم. فإذا فرَّ الجيش مثلاً قيل: هَلَّا ثَبُتُمْ؟! وإذا فرَّ الأكثر قيل: يستحقون العقوبة إلا فلاناً، ولا يقال: هَلَّا ثَبُتُمْ إلا فلان؟! فإنه تحضيض على الثبات إلا لفلان، وهذا ليس بمراد، بل هو مستثنى من الترك وسلب الفعل والذم والعقاب، لا من شمول الطلب والحض له. والله أعلم.

ثم يقال: هو مستثنى من القدر المشترك بين أنواع الحض والأمر، حض وأمر لمن فعل ولمن ترك. وقد يقال مستثنى مما هو أخص من الحض، وهو الترك والذم، وكلا الأمرين واحداً. والله أعلم.

ومثل هذا قوله: ﴿وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ﴾ [هود: ٨١]

فمن رفع جعلها مستثناة من النهي، فلم تُنه عن الالتفات لأنها من المعذبين. ومن نصبه جعله منقطعاً، فإنه لما نهاهم عن الالتفات، والالتفات مُوجب للعقوبة، فقد يكون منهم من لا يطيع فيُعاقب، ومنهم من لا يُعاقب، فكأنه قال: فهل تُطيع وتسلم؟ فقال: نعم إلا امرأتك. وقيل: إنها استثناء من قوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾، وقد ذكروا الوجهين في قراءة النصب، وهي قراءة نافع وغيره.

قال ابن الأنباري^(١): على قراءة نافع يكون الاستثناء منقطعاً، معناه: لكن امرأتك فإنها تلتفت، فيُصيّها ما أصابهم. فإذا كان الاستثناء منقطعاً كان التفاتها معصية لربّها؛ لأنه ندب إلى ترك الالتفات.

وقال الزجاج^(٢): من قرأ بالنصب فالمعنى: فأسرِ بأهلك إلا امرأتك. ومن قرأ بالرفع حملة: ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك، وإنما أمروا بترك الالتفات لئلا يروا عظيم ما نزل بهم من العذاب.

فإن قيل: فإذا جعل الاستثناء منقطعاً تكون منهية عن الالتفات، وعلى قراءة نافع ليست منهية، والقراءتان لا تتناقضان.

قيل: الالتفات نوعان: نوع يكون مع محبة المعذبين، كالتفاتها. ونوع يكون مع بُغضهم، كالتفات لوطٍ لو التفت.

(١) نقل عنه ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٤٢).

(٢) في معاني القرآن له (٣/ ٦٩، ٧٠).

فُهِوا عن الالتفات لئلا يروا عظيمَ العذاب، فيحصل لهم رَوْعٌ وفزعٌ. فكلهم منهيئون عن النوع الأول، وهي عاصية التفتت التفات محبة، فكان الاستثناء في حقها منقطعاً. وأما الثاني فهم نُهِوا عنه، وهي لم تُنَّهَ عن هذا الالتفات الذي هو مع البغض، لَيْسَلَمَ صاحبه من الفزع والروع، بل لو التفتت مع البغض لم تكن عاصيةً وإن حصل لها رَوْعٌ، ولكن لما التفتت وهي مُحِبَّةٌ لهم على دينهم - والمرء على دين خليله - أصابها ما أصابهم، لمشاركتها لهم في الذنب، لا لمجرد الالتفات لو خلا عن دين القوم. ولهذا لو التفت لوطٌ أو إحدى ابنتيه لم يُصِبْه ما أصابهم. فهذا من دقائق معاني القرآن.

وقد ذكر ابن الجوزي القولين، قال (١):

فإن قيل: [كيف] كُشِفَ العذابُ عن قوم يونس بعد إتيانه إليهم، ولم يُكشَفَ عن فرعونَ حين آمن؟ فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أن ذلك كان خاصاً لهم، كما ذكرنا في أول الآية.

والثاني: أن فرعونَ باشره العذابُ، وهؤلاء دنا منهم ولم يباشرهم، فكانوا كالمريض يخاف الموتَ ويرجو العافية، فأما الذي يُعَين فلا توبة له. ذكره الزجاج (٢).

والثالث: أن الله علم فيهم صدقَ النيات، بخلاف من تقدمهم من

(١) زاد المسير (٤/٦٦، ٦٧). وما بين المعكوفتين منه.

(٢) في معاني القرآن (٣/٣٤).

الهالكين. ذكره ابن الأنباري.

قلت: هذا القول معناه: أن هؤلاء تابوا، وغيرهم لم يتب، ولو تاب قُبلت توبته. وهذا إنما يكون قبل المعاينة.

وقد ذكر في الكلام هل هو نفى أو تحضيض قولين، فقال^(١):

وفي ﴿لَوْلَا﴾ قولان:

أحدهما: أنها بمعنى لم تكن قرية آمنت فنفعها إيمانها - أي قبل منها - إلا قوم يونس. قاله ابن عباس^(٢).

وقال قتادة^(٣): لم يكن هذا لأمة آمنت عند نزول العذاب إلا لقوم يونس.

والثاني: أنها بمعنى هلاً. قاله أبو عبيدة^(٤)، وابن قتيبة^(٥)، والزجاج. قال الزجاج^(٦): المعنى: فهلاً كانت قرية آمنت في وقت ينفعها إيمانها إلا قوم يونس. و﴿إِلَّا﴾ ههنا استثناء ليس من الأول، كأنه قال: لكن قوم يونس.

(١) أي ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٦٤-٦٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٢٩٢، ٢٩٣).

(٣) تفسير الطبري (١٢/ ٢٩٣).

(٤) مجاز القرآن (١/ ٢٨٤).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص ٢٠٠).

(٦) معاني القرآن (٣/ ٣٤).

وقال الفراء^(١): نصب القوم على الانقطاع مما قبله، ألا ترى أن ما بعد ﴿إِلَّا﴾ في الجحد يتبع ما قبلها. تقول: ما قام أحدٌ إلَّا أخوك، فإذا قلت: ما فيها أحدٌ إلَّا كلبًا أو حمارًا نصبتَ؛ لانقطاعهم من الجنس. كذلك كان قوم يونس منقطعين من غيرهم من أمم الأنبياء، ولو كان الاستثناء وقعَ على طائفة منهم لكان رفعًا^(٢).

قلت: هذا قول أئمة العربية، وهذا مما يُعلم بالاضطرار من لغة العرب التي بها نزل القرآن. ﴿وَلَوْلَا﴾ تارةً يليها الاسم، كقوله: ﴿وَلَوْلَا فَضَّلُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾، فيكون حرف امتناع. وتارةً يليها الفعل، كقوله: ﴿لَوْلَا جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾. فيكون حرف تحضيضٍ، وهو يتضمن النفي. فالنفي لازمٌ لها، لا أنها بمعنى «لم تكن».

والمفسرون من السلف يُفسِّرون المعنى، لا يتكلمون في دلالة العربية؛ لأن العربية عاداتهم وطبعهم، لا يحتاجون فيها إلى مقاييس النحاة. وابن عباس ذكر أن الآية دلَّت على أنه لم تكن أمةٌ آمنتُ فنفعها إيمانُها إلَّا قوم يونس. وهذا حق، والاستثناء المنقطع يدل عليه. لم يقل: إنها بمعنى: لم تكن. وكذا قتادة ظنَّ أن المراد أن الإيمان نفعهم ولم ينفع غيرهم. وليس كذلك، بل غيرهم لم يؤمن إيمانًا ينفعه، وهؤلاء آمنوا إيمانًا ينفعهم، كانوا صادقين وآمنوا قبل حضور الموت، وغيرهم

(١) معاني القرآن (١/٤٧٩).

(٢) إلى هنا انتهى النقل عن زاد المسير.

إما أن يكون كاذبًا في إيمانه كقوم فرعون، وإما أن يؤمن بعد حضور الموت، كالذين قال تعالى فيهم: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ [غافر: ٨٥]، والذين قال فيهم: ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥]، وقوله: ﴿ فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسْنَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ (١٣) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْتَلُون ﴿ ١٣ ﴾ قَالُوا يَوَلَّيْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿ ١٤ ﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَانَهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ ﴿ [الأنبياء: ١٢-١٥]، فهؤلاء لم يؤمنوا. وكذلك قوله: ﴿ فَلَمَّا دَسَوْا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤]، فهؤلاء إما أنهم لم يتوبوا أو حضر الموت الذي لا يندفع.

وقد ذكر ابن الأنباري^(١) في الآية قولين آخرين فاسدين:

أحدهما: أن ﴿إِلَّا﴾ بمعنى الواو، فالمعنى: وقوم يونس لما آمنوا فعلنا بهم كذا وكذا. قال: وهذا مروى عن أبي عبيدة^(٢)، والفراء^(٣) ينكره.

والثاني: أن الاستثناء من الآية التي قبلها، تقديره: حتى يروا العذاب الأليم إلا قوم يونس. والاستثناء على هذا متصل غير منقطع.

(١) نقل عنه ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٦٥).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٨٢).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٤٨٩).

قلت: هذا في غاية الفساد، فإن ذاك من كلام موسى، قال: ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]، وهو دعاء على آل فرعون، كما قال: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية [يونس: ٨٨]. ولم يستثن موسى من هؤلاء أحداً، وقوم يونس ليسوا من قوم فرعون، فأين هذا من هذا؟

والأول أيضاً في غاية الفساد، فَإِنْ جَعَلَ ﴿إِلَّا﴾ المُخْرِجَةَ بمعنى الواو الجامعة استعمالاً للفظ في نقيض معناه، وهذا فاسدٌ. وأبو عبيدة له من هذا الجنس أقوال فاسدة، وهذا مما يعلم أئمة النحاة أنه منكر، فالبصريون كلهم ينكرون ذلك، وقد أنكره الفراء وغيره من الكوفيين. وقد ذكر نحو هذا في قوله: ﴿لَيْتَ لَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠]^(١)، وهو فاسد من وجوه متعددة. والله أعلم.

فصل

وقد دلت الآية على أن كل من آمن وتاب بعد نزول العذاب نفعه إيمانه، وأما من لم يتب أو تاب توبةً كاذبةً فهذا لا ينفعه. وأما التوبة عند

(١) كلام أبي عبيدة على هذه الآية وأن ﴿إِلَّا﴾ هنا بمعنى الواو في مجاز القرآن (٦٠/١). وردّ عليه الطبري في تفسيره (٦٨٨/٢).

حضور الموت فهي كالتوبة يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨]، وقال: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٦) ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٧) ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (٨٨) ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٨٩) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَن نُّقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ (٩٠) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقَبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مَلَأُ الْأَرْضَ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ﴾ [آل عمران: ٨٦-٩١].

وقد فسروا ازديادهم كفرًا بأنهم أصرُّوا عليه إلى الموت، فلن تُقبل توبتهم عند الموت، وذلك - والله أعلم - لأنه حين الموت وقع مبادئ الجزاء، فلم يكن ثمَّ زمنٌ يتسع لأن يرجعوا عن السيئات، فتنقص أو تذهب، بل حصلت بالإصرار في زيادة بلا نقصان. ولو تاب أحدهم قبل الموت لم يكونوا قد ازدادوا كفرًا، بل ذهب الأصل والزيادة، فإنهم بدلوا السيئات بالحسنات، وأما عند الموت فقد ازدادوا بالإصرار، ولم يكن هناك وقت يذهب، لا هذا ولا هذا.

فقوله: ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا﴾ في معنى قوله: واستمروا على كفرهم وأصرُّوا على كفرهم، ونظيرها قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ

ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿النساء: ١٣٧﴾، فهنا قال: ﴿لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ﴾، وهناك قال: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾، فإنه لو آمن ثم كفر ثم آمن وتاب من رِدَّتِهِ قُبِلَتْ تَوْبَتُهُ كما تقدَّم، فإن كَفَرَ وارتدَّ مرةً ثانيةً حَبِطَ الإيمان الذي غُفِرَ به ذلك الكفر، فيبقى عليه إثم الكفر الأول والثاني، فإذا ازداد كُفْرًا فأَصْرَّ إلى الموت لم يُغْفَرْ له. وقد ذكر في أول السورة الذي ازداد كُفْرًا بعد الكفر الأول، فذكر الكفر الأول والمكرر إذا حصل معهما ازدياد، ولما قال هناك: لم تُقْبَل تَوْبَتُهُمْ عند الموت كان هذا تنبيهًا على أن الثاني لا تُقْبَل تَوْبَتُهُ بطريق الأولى. ولما ذكر في الثاني أنهم آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا، كان مفهومه أنهم لو تابوا قبل الارتداد لَقُبِلَتْ تَوْبَتُهُمْ وإن كرروا الكفر. فدلَّ على أن قوله في الأولى: ﴿أَزْدَادُوا﴾ أراد به الإصرار، فإنه لو لم يرد به الإصرار لكان من كفر بعد إيمانه وبقي مدةً ثم تاب لم تُقْبَل تَوْبَتُهُ، وهذا خلاف قوله قبل ذلك: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٨٩]، وخلاف مفهوم آية التكرير، ولو كان كل مرتد بقي مدةً لا تُقْبَل تَوْبَتُهُ لم يحتج إلى التكرير.

فإن قيل: ازدياد الكفر أن يأتي مع الردّة بزيادة في الكفر يغلظ به الكفر، فتكون رِدَّتُهُ مغلظةً، كردّة مقيس بن صُبابة وعبد الله بن خَطَل

الذين^(١) أُهْدِر دُمُهُما يومَ الفتح.

قيل: هذا من مسائل الاجتهاد، والكلام فيه مبسوط في غير هذا الموضوع. والذين أتاها العذابُ وبقي زمنًا حتى ماتوا، كقوم نوح لما شرع الماء يزيد لو تابوا كما تاب قوم يونس لَقَبِلَ الله توبتهم، لكن لم يتوبوا. وكذلك قوم عادٍ لما رأوا السحابَ فقالوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرٌ﴾ [الأحقاف: ٢٤]، فهبَّت الريح سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ حُسومًا، لم يتوبوا. وكذلك قوم صالح لما عقروا الناقة قال: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥] لم يتوبوا.

فإن قيل: فقد قال: ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ﴿[الشعراء: ١٥٧-١٥٨].

قيل: وقد قال عن أحد ابني آدم: ﴿فَاصْبَحَ مِنَ النَّدِيمِينَ﴾ [المائدة: ٣١]، ولم يكن هذا ندمَ توبة، كذلك أولئك قالوا: وقد يقال: كانوا موعودين بالعذاب إذا عقروها، وعذاب الدنيا لا يندفع بمثل هذه التوبة، فإن قوم موسى لما تابوا من عبادة العجل كانت توبتهم بقتل خلق كثير منهم. وكذلك لما سألوا الرؤية جهرةً فأخذتهم الصاعقة وهم لم يتوبوا إلا خوفًا من عذاب الدنيا.

أو يقال: كانت توبتهم من جنس توبة آل فرعون، إذا جاءهم العذاب

(١) في الأصل: الذي الخطل.

تابوا، فإذا رُفِعَ نكثوا التوبة. فقلوه: ﴿نَدِيمِينَ﴾ لا يدل على توبة صادقة ثابتة.

وكذلك قوله: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرِيبٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (١١) فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَنَّا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أَتَرْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ (١٣) قَالُوا يَبُولْنَا إِنْآ كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿[الأنبياء: ١١-١٥]. فهو لم يذكر عنهم توبة، ولكن إخبارهم بأنهم ظالمون، والكفار والعصاة معترفون أنهم ظالمون مع الإصرار، وإبليس معترف أنه عاصي لربه مع إصراره، وفرعون كان يعلم أن موسى صادق مع إصراره، ومجرد العلم بأنه مذنب ليس توبة، إنما التوبة رجوع القلب عن الذنب إلى الله تعالى وطاعته.

وكذلك قوم شعيب لما أخذتهم الظَّلَّة لم يتوبوا، وكذلك قوم لوط لما جاءهم العذاب لم يتوبوا. والتوبة عند نزول العذاب كثيرًا ما تكون غير صادقة، بل يتوب إلى أن ينكشف، ثم يعود، كتوبة آل فرعون باللسان من غير عملٍ بموجبها، بل مع الكذب.

ولهذا لم يقبل أكثر العلماء توبة الزنديق في الظاهر؛ لأنه لا يُعَلِّم صدقه، وهو ما زال يُظْهِر الإيمان، فلم يجدد شيئًا يُعَرِّف به صدقه، وهو منافق، ولم ينته عن إظهار النفاق. وقال تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا

يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا
نَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ
تَبْدِيلًا ﴿[الأحزاب: ٦٠-٦٢]﴾، ولو تاب قبل أن يؤخذ، وأظهر التوبة بحيث
تغير حاله وهجر ما كان عليه أولاً، قُبِلَتْ توبته.

وكذلك أرجح القولين أن كل مَنْ تَابَ قَبْلَ الرُّفْعِ إِلَى الْإِمَامِ لم يقم
عليه [الحدّ]، ولو جاء إلى الإمام تائباً فأقر لم تجب إقامة الحدّ عليه،
فلا تجب إقامته على تائب. لكن مَنْ جاء مقرّاً وطلب من الإمام أن يقيمه
فله أن يقيمه، لأنه من تمام تطهيره، وللإمام أن يدفع مَنْ جاء مقرّاً تائباً،
بخلاف من أُخِذَ قَهْرًا واعترف بهذا ولم تظهر منه توبة، فقوله تعالى:
﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٣٤] نص عام، ومَنْ
جاء مقرّاً تائباً فقد تَابَ قَبْلَ الْقَدَرَةِ عَلَيْهِ، فإن هذا قد ظهر صدقه في
توبته، بخلاف من قامت عليه اليقينة ثم تاب، أو أقرّ بعد أن أخذوه، فإن
هذا لا يُعَرَفُ صحة توبته، ولو أُسْقِطَ الحدُّ عن مثل هذا لأمكن كلّ
مجرم أن يُظْهِرَ مثل هذه التوبة.

وقد قال بعض العلماء عمّن تاب عند رؤية السيف، ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا
قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ
إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴿[غافر: ٨٤-٨٥]﴾، وهذا لأن هؤلاء قد يتوبون مثل توبة
آل فرعون، وينقضون التوبة. أو يكون هذا العالم رأى معاينة القتل لم
يتحتم مثل معاينة الملك، ولكن هذا مثل من يُطْعَنُ في جوفه ويجيئه

الموت، وهذا تُقبل توبته على الصحيح وتنفذ وصاياه، فإن عمر أوصى في هذه الحال، وغايته أنه أيقن بالموت بعد زمنٍ، وكلُّ أحدٍ يوقن بالموت بعد زمنٍ طويل أو قصير، إلا أن يقال: من هؤلاء من يضطرب عقله، فلا يمكنه توبة صحيحة، فإن التوبة لا بد فيها من رجوع القلب إلى الله عما فعله من السيئات، وهذا قد لا يحصل في هذا الزمان مع تغير العقل.

ومن المذنبين من لا يتوب توبة صادقة بعد معاينة عذاب الآخرة، فكيف بعذاب الدنيا، بل يعد بالتوبة، فإذا أُطلق عاد. قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧]. قال الله تعالى: ﴿بَلْ بَدَاهُمْ مَّا كَانُوا يَخْشَوْنَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧]. فهؤلاء قد عاينوا العذاب وتمنوا الردَّ، وقالوا: إنهم لا يكذبون بآيات ربهم ويكونون من المؤمنين، وقد كذبهم الله في ذلك فقال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

وهذا يُبين أن قوله: ﴿وَلَا تَكْذِبْ﴾ و﴿وَنَكُونَ﴾ إخبارٌ منهم عن أنفسهم، وجواب تمنيتهم ليس هو مما تمنوه، كأنهم قالوا: يا ليتنا نردَّ فنكون حينئذٍ مؤمنين لا مكذبين. وجواب النهي في لغة العرب يكون بالواو والفاء. فما كلُّ من ذكر أنه تائب عند معاينة العذاب يصدَّق في بقاءه تائبًا، كآل فرعون، وهذا موجود في الناس كثيرًا عند الشدائد يتوبون وينذرون، ثم إذا زالت الشدة منهم من يُوفي بتوبته ونذره، ومنهم

من لا يوفي بذلك. قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿التوبة: ٧٥-٧٧﴾.

فهذا النفاق الذي حصل في قلوب هؤلاء قد أخبر الله أنه باقٍ إلى يوم يَلْقَوْنَهُ، وهذا قد يكون لأنهم لم يتوبوا منه توبةً صادقةً. ومن الناس من يقول: إن من الذنوب ما لا يزول بالتوبة، وقد روي أن منهم من جاء بصدقته فلم يقبلها، كالذين قال فيهم: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣]. فهؤلاء لم يُقبل منهم الجهاد لما امتنعوا عام تبوك، وهذا لم يُقبل منه (١) الصدقة لما منعها أولاً.

وقوله في الثلاثة الذين خَلَفُوا: ﴿وَأَخْرُوكَ مُرَجَّونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٦] دليلٌ على أن هؤلاء الذين عَذَّبُوا لم يتب الله عليهم، إما لكونهم لم يأتوا بتوبةٍ تمحو ذلك الذنب، هذا قول الأكثرين. وحينئذٍ فيكون التقصير منهم، وهم ظلموا أنفسهم. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، على أنه إذا تاب توبةً صادقةً، والشأن في تحقيق التوبة، ولهذا أخرج الثلاثة الذين خَلَفُوا، وقد كانوا

(١) في الأصل: منهم.

نادمين من حين رجع الرسول والمؤمنون.

وهذا كما قد قيل: إن الله حَجَرَ التوبة عن كل صاحب بدعة، بمعنى أنه لا يتوب منها، لأنه يراها حسنةً، والتوبة إنما تيسر على من عرف أن عمله سيءٌ قبيح، فيكون عمله داعيًا له إلى التوبة، أما إذا اعتقد أنه حسن فيحتاج ذلك الاعتقاد إلى أن يزول، وزوال الاعتقاد لا يكون بالوعظ والتخويف، وإنما يكون بعلم وهدى يبين الله له فساد اعتقاده، وصاحب الاعتقاد الفاسد جهله مركب، وهو لا يُصغي إلى أدلة مخالفيه وتفهمها لوجهين:

أحدهما: أنه لا يجتمع النقيضان في القلب، فلا يجتمع ذلك ودليل نقيضه، فإن دليل النقيض يستلزمه، فلا يمكن أن يتصور دليل النقيض إلا مع عزوب ذلك الاعتقاد عن القلب، لا مع حضوره، ولأن اعتقاده لذلك القول يدعوه إلى أن لا ينظر نظرًا تامًّا في دليل خلافه، فلا يعرف الحق.

ولهذا قال السلف: إن البدعة أحبُّ إلى إبليس من المعصية. وقال أيوب السخيتاني وغيره: إن المبتدع لا يرجع. واحتج بقوله في الخوارج: «يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميَّة، ينظر في نَصْلِهِ فلا يرى شيئًا، وينظر في رِصافِهِ فلا يرى شيئًا، وينظر في قِدْحِهِ فلا يرى شيئًا، وينظر في نَضِيئِهِ فلا يرى شيئًا، ويتمارى في الفُوق قد سبق الفرث والدم»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠) ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري. =

وهذا الذي ذكره هو كحال من ﴿أَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ [التوبة: ٧٧]، والذين لو ﴿رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]. لكن ليس هذا وصف جميع أهل البدع، فليست البدعة أعظم من الردة عن الإسلام والكفر، وقد تاب خلقٌ من المرتدّين والكفار، لكن هو مظنة الخوف، كالذين أسلموا من المرتدّين كان الصحابة يحذرون منهم خوفاً من بقايا الردّة في قلوبهم. فهذا هو العدل في هذا الموضع، وقد تاب خلقٌ من رأي الخوارج والجهمية والرافضة وغيرهم. لكن التوبة من الاعتقادات التي كثر ملازمة صاحبها لها ومعرفته بحججها يحتاج إلى ما يقابل ذلك من المعرفة والعلم والأدلة.

ومن هذا الباب قول النبي ﷺ: «اقتلوا شيوخ المشركين واستبقوا شرّهم»^(١). قال أحمد وغيره: لأن الشيخ قد عسى في الكفر، فإسلامه بعيد، بخلاف الشاب، لأن قلبه لين، فهو قريبٌ إلى قبول الإسلام.

= والرمية: الصيد المرمي، والنصل: حديدة السهم، ورصافه: عصبه الذي يكون فوق مدخل النصل، والنضّي: عود السهم قبل أن يُراش ويُنصل، وقيل: هو ما بين الريش والنصل. والقِدَح هو النضّي كما فُسّر في الحديث. والفُوق من السهم: حيث يثبت الوتر منه.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٢/٥، ٢٠) وأبو داود (٢٦٧٠) والترمذي (١٥٨٣) من حديث سمرة بن جندب. وإسناده ضعيف لعننة الحسن البصري وهو مدلس، وفيه الحجاج بن أرطاة، وفيه لين. انظر: ضعيف سنن أبي داود للألباني (٤٥٩).

ومما يناسب هذا قوله تعالى عن مسجد أهل الضرار: ﴿لَا يَزَالُ بُنِيَ لَهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ١١٠]، هذا قرأه الجماعة، وقرأ يعقوب «إلى أن تقطع»^(١)، وعلى هذا فالريبة باقية إلى حين التقطع. وأما قراءة الجمهور فإنه استثنى فقال: ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾، فإذا قطعت قلوبهم لم يبق ريباً في قلوبهم. وقد قال سفيان وغيره: هو التوبة. وقال كثير من المفسرين^(٢): هو التقطع بالموت أو في القبر أو يوم القيامة. وقول هؤلاء يناسب قراءة يعقوب، فإنه لا تزال ريبة إلى حين تقطع القلوب. وأما قراءة الاستثناء فإن كانت توبتهم مقبولة كما قال سفيان وغيره فهي تحتاج إلى تقطع القلوب، تتمزق بالتوبة، فتحتاج إلى مشقة وشدة. وهكذا كثير من ذنوب أهل الاعتقاد والشبهات وأهل الشهوات القوية يحتاج صاحبها إلى معالجة قلبه ومجاهدة نفسه وهواه. وتوبة الثلاثة قد قال الله فيها: ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨]، فكيف غيرهم؟ وتوبة أبي لبابة وأصحابه كانت لما ربطوا أنفسهم في السواري^(٣)، وقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يدل على أنه

(١) انظر: النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٨١).

(٢) انظر: زاد المسير (٣/ ٥٠٣) وتفسير الطبري (١١/ ٧٠١) والقرطبي (٨/ ٢٦٦) وابن كثير (٤/ ١٧١١).

(٣) لأنهم تخلفوا عن غزوة تبوك، وقيل لسبب آخر. انظر: مصنف عبد الرزاق (٥/ ٤٠٥) والاستيعاب (٤/ ١٧٤١) وتفسير ابن كثير (٤/ ١٧٠٢).

سبحانه يعلم من أحوال القلوب ما يناسب هذا، وهو حكيم في حكمه بأنه
﴿لَا يَزَالُ بُنِيتُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾.

وإذا أريد بتقطع القلوب تقطعها بالتعذيب فقط فيكون ذلك لأنه علم
أن هؤلاء المعينين لا يتوبون، وإن أريد تقطعها بالتوبة أو بالتعذيب فلا بد
لهم من أحد الأمرين: إما أن يقطعوها بالتوبة، وإلا قطعت بالعذاب، كما
قال: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٦]. وأولئك المعينون إذا لم
يقطعوها بالتوبة قطعت بالتعذيب، فالعذاب مُخرج ما في النفوس من
الريبة والنفاق، لمن لم يُخرجه بالتوبة، والذنوبُ لا بد فيها من توبة أو
تعذيب، ولو أنه ينقص الحسنات لأجلها، كما قال: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ
عَلَيْهِمْ﴾، كما قد بُسِط في غير هذا الموضع. والله أعلم.

فصل

وقوله: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢]، نُقل عن ابن عباس
وغيره أنهم قالوا: عسى من الله واجب^(١). وهذا الذي قالوه قد وُجد
بالاستقراء في مواضع، كقوله: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ
مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ [المتحنة: ٧]. وجعل الله المودة بين المؤمنين وبين
الذين كانوا يعادونهم بعد أن نزلت هذه الآية لما فُتِحَتْ مكة وآمن
الطلقاء، كأبي سفيان، وسهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وعكرمة بن

(١) انظر: البرهان للزركشي (٤/ ١٦٠).

أبي جهل، والحارث بن هشام وغيره.

وقوله: ﴿فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢]، وأتى الله بالفتح وبأمرٍ من عنده، فأصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين.

وقوله: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢]، وتاب عليهم.

وقوله: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُوا مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ۝٥١ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجِيْبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٥٠-٥٢]. وهذا يكون ذلك اليوم.

وقوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢]، ومن تولى عن طاعة الله والرسول أفسد في الأرض وقطع رَحِمَهُ، كما فعل المشركون ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَاذِمَةً﴾ [التوبة: ١٠].



فهرس موضوعات الكتاب

- * مقدمة التحقيق ٥
- وصف الأصول المعتمدة ٨
- نماذج من النسخ الخطية ١٩
- * فصول وقواعد (من مسودات شيخ الإسلام ابن تيمية) ٣
- ١ - فصل في ذكر الله ودعائه ٥
- الفاتحة نصفها ثناء وذكر، ونصفها دعاء ومسألة ٥
- سرد الآيات التي فيها الدعاء أو الذكر ٥
- كل واحد من اسمي الذكر والدعاء يتناول الآخر ١٢
- إطلاق الدعاء على الثناء والذكر لوجوه ١٣
- الثناء لفظه لفظ الخبر ومعناه الطلب والسؤال ١٤
- المشني سائل بحاله ١٥
- الدعاء يراد به دعاء العبادة ودعاء المسألة ١٥
- الناطق بلفظ الثناء والذكر له ثلاثة أحوال ١٥
- ٢ - فصل: قرن الله بين الكتاب والصلاة في مواضع ١٦
- سرد هذه الآيات ١٦
- ٣ - فصل: قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...﴾ ١٧
- الشهادة على الناس مختصة بهذه الأمة ١٧
- ٤ - فصل: حديث حكيم بن حزام: «إن هذا المال خِضرة...» ١٩
- فيه جواز عدم أخذ المال وإن كان بحق ١٩

- أخذ المال وصرفه في مواضعه خير من تركه حيث لا ينفع ١٩
- قد يكون في الأخذ مفسدة فيكون تركه أفضل ٢٠
- بعض المقاصد الصالحة لعدم أخذ المال ٢١
- بعض المقاصد الفاسدة لعدم أخذ المال ٢٢
- خلاصة القول في ذلك ٢٢
- ٥ - فصل: احتج بعض المبطلين على جواز السجود لغير الله ٢٤
- حججهم الثلاث ٢٤
- الردّ عليها ٢٤
- تناقض القائلين بوحدة الوجود ٢٤
- تحريم السجود لغير الله في شريعتنا تحيةً أو عبادة ٢٥
- الجنس المأمور به يُشترط له شروط، والمنهي عنه يُنهي عنه بكل
- حال ٢٦
- ٦ - فصل: حركات العباد بقلوبهم وأبدانهم لا بدّ لها من غاية
- ووسيلة ٢٧
- الغاية أو المقصود هو الله، والوسيلة رسول الله ٢٧
- معنى العبادة والاستعانة وعلاقتهما بالخوف والرجاء ٢٧
- كل خوف مستلزم للرجاء وكل رجاء مستلزم للخوف ٢٨
- كمالهما في الاعتدال ٢٨
- العبادات القلبية يجب فيها الإخلاص لله ٢٨
- ٧ - فصل: شبه الإباحية ٢٩
- سرد عشر شبه ٢٩

- ٣١ عمدتهم إما شبه قياسية أو ذوقية.
- ٣١ حجتهم تقليد كبير في أنفسهم.
- ٣١ ردُّ الغزالي عليهم، وكون أمرهم أكبر من ذلك.
- ٨ - فصل: تقول طائفة من أهل الكلام: إن الحركة وأنواعها لا تصحّ إلا على الأجسام دون الأعراض، فإن العرض لا يقوم بنفسه ٣٢
- ٣٢ رد المؤلف عليهم بأن الأمر ليس كذلك، بل حركة كل شيء بحسبه.
- ٣٢ ذكر أمثلة على ذلك.
- ٣٢ كلّ ما يقال في مجيء الأعيان والأجسام يقال في مجيء الصفات والأعراض ٣٣
- ٩ - فصل: قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ
- الْأَوَّلِينَ﴾ ٣٤
- ٣٤ بعض الآيات فيها ذكر التدبر والاستماع.
- ٣٥ القول الذي أمر بتدبره واستماعه هو القرآن.
- ٣٥ انحراف المتكلمين والعبّاد (أهل السماع) في هذا الباب.
- ٣٥ وصف سماع الأنبياء وأهل العلم والمعرفة وعموم المؤمنين في القرآن ٣٥
- ٣٧ مصطلح «أهل العلم» و«أهل المعرفة» ٣٧
- ٣٨ التلاوة تجمع معنى التدبر والاتباع ومعنى السماع ٣٨
- ٣٩ ذم الذين يُعرضون عن سماع القرآن وتدبره إلى سماع غيره ٣٩
- ٣٩ استدلال الصحابة بالقرآن على تحريم سماع الغناء ٣٩

- ٤٠ - وصف عباد الرحمن في سورة الفرقان
- ٤١ - جماع الخير في القرآن والإيمان
- ١٠ - قاعدة: بعث الله محمدًا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ٤٢
- «الهدى» يدخل فيه العلم النافع، و«دين الحق» يدخل فيه العمل الصالح ٤٢
- المنحرف إما المبتدع في دينه وإما الفاجر في دنياه ٤٢
- البدع أحبّ إلى إبليس من المعصية ٤٢
- صنفان إذا صلحوا صلح الناس: العلماء والأمرء ٤٢
- إحداث الأمرء والمتكلمين والصوفية: السياسة والعقليات والحقيقة بمقابل الشريعة ٤٣
- تقصير بعض الفقهاء والمحدثين والعباد في بيان ما يحتاج إليه الناس ٤٣
- تقصير هؤلاء وعدوان أولئك كان سببًا لذهاب ما ذهب من الدين وظهور البدع ٤٣
- ١١ - فصل جامع: أن جماع الحسنات العدل، وجماع السيئات الظلم ٤٤
- المقصود المطلوب بجميع الحسنات: إخلاص الدين كله لله ٤٤
- اشتمال سورة الأعراف على أصول الدين وذمّ الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله ٤٤

- بيان أن ذنوب المشركين في نوعين: أمر بما لم يأمر به الله، ونهي عما لم ينه عنه ٤٥
- ابتداء العبادات الباطلة هو الغالب على النصارى ومن ضاهاهم من المتصوفة ٤٥
- ابتداء التحريمات الباطلة هو الغالب على اليهود ومن ضاهاهم من المتفقهة ٤٥
- الدين كله: العلم والعدل، وضد ذلك: الظلم والجهل ٤٦
- الصبر على ظلم الأئمة وجورهم من العلم والعدل المأمور به ٤٦
- الخروج عليهم يُوجب من الظلم والفساد أكثر من ظلمهم ٤٧
- الصبر على ظلم المأمور المنهي عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٤٧
- لا تتم مصلحة الأمر والنهي إلا بذلك ٤٧
- مسؤولية ولاية الأمور ٤٧
- المطلوب من الراعي والرعية الصبر والحلم ٤٨
- ١٢ - قاعدة في الإجبار على المعاوضات إذا لم يكن فيه ضرر ٤٩
- حديث سمرة بن جندب وقول النبي ﷺ: «اذْهَبْ فَاقْلَعْ نَخْلَهُ» ٤٩
- فقه هذا الحديث ٤٩
- الإجبار على المعاوضة إذا لم يكن فيها ضرر ٥٠
- أمثلة أخرى من هذا الباب (إيجاب الشفعة، وإيجاب الشريك على القسمة، وإيجاب الشريك على العمارة، والسراية في العتق) ... ٥٠
- تحريم المضاربة مطلقاً ٥١

- ١٣ - فصل في ثواب الحسنات والسيئات ٥٢
- ترجيح جانب الحسنات ٥٢
- ليس في أسماء الله الحسنى اسم يتضمن صفة الغضب والعذاب ٥٢
- جاء في القرآن: «ذو انتقام»، ولم يقل: «منتقم» ٥٣
- وروده في حديث الترمذي الذي فيه تفصيل الأسماء الحسنى،
وتحقيق أن العدد ليس من كلام النبي ﷺ ٥٣
- من أسمائه: الضارّ والنافع وأمثالهما تُقال مقترنةً مزدوجةً، لا
يفرد الضارّ عن النافع ٥٤
- إضافة الشرّ إلى الربّ في القرآن ومعناها ٥٤
- أمثلة من إضافة الشرّ إلى السبب وحذف فاعله ٥٥
- جانب الحسنات هو الراجح في خلقه وأمره ٥٦
- بيان ترجيح جانب الحسنات في أمره وشرعه من وجوه ٥٦
- الحسنات يُضَاعَف قدرها، والسيئات بالعكس ٥٦
- الجزاء في الحسنات بأفضل أنواعها وصفاتها، بخلاف السيئات ... ٥٧
- الهمُّ بالحسنة يُثاب عليه، والهمُّ بالسيئة لا يُعاقب عليه ٧٥
- الفرق بين الهمّ الذي لا يكون إرادةً جازمةً والهمّ الذي هو إرادة
جازمة وإنما منعه العجز ٥٨
- الإرادة الجازمة مشروطة بالعلم المفصل ٥٩
- الإرادة تقوى وتضعف بحسب القدرة والعجز ٥٩
- الحسنات يتعدى ثوابها فاعلها، وأما السيئة فلا يُعاقب عليها إلا
فاعلها ٦٠

- ٦١ - التفاوت في الحسنات والسيئات يقع من ثلاثة أوجه
- ٦٣ - حكم ما تولد عن العمل من المصالح والمفاسد
- ١٤ - فصل: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ٦٤
- ٦٤ - وصف المختال الفخور بأنه يبخل ويأمر الناس بالبخل
- ٦٥ - التخیل المذموم والمحمود
- ٦٦ - متى تكون الشجاعة أو السماحة محمودة ومتى تكون مذمومة؟
- ١٥ - فصل: ثبت في الصحيح: «ليس الكذاب الذي يُصلح بين الناس...» ٦٧
- ٦٧ - المسالمة لمن أمر الله بمسالمة، والمحاربة لمن أمر الله بمحاربته
- ٦٧ - أهمية الإصلاح بين الناس
- ٦٧ - الكذب المرخص فيه هو المعارض بالاتفاق
- ٦٨ - الكذب الصريح لا يباح في أظهر القولين
- ٦٨ - سبب الرخصة في الكذب في السلم والحرب خاصة
- ١٦ - فصل: أثبت أئمة من أهل السنة «الحَدَّ» ٧٠
- ٧٠ - أثبت أئمة من أهل السنة وأنكره آخرون من المتكلمين
- ٧٠ - فصل الخطاب أن «الحَدَّ» له عدة معانٍ ترجع إلى أصليين
- ٧٠ - الحَدَّ يكون لحقيقة الشيء وهو حدّ الماهية، ويكون لعينه الذاتية وهو حدّ لوجوده
- ٧١ - لا خلاف بين المسلمين أن الله له حقيقة وذات، فذلك حدّه الذي لا يعلمه غيره
- ٧٢

- أما الحدّ بمعنى القول الدالّ على الماهية، فلله أسماء وصفات
تميّزه عن غيره ٧٢
- أما الحدّ المركب من الجنس والفصل فلا يجوز في حق الله ٧٢
- حدّه بالذات بمعنى انفصاله عن غيره وتميّزه عنه ٧٢
- حدّه بالصفات بمعنى اتصافه بالصفات القائمة به المميّزة له عن
غيره ٧٣
- الحدّ بمعنى المقدار والنهاية مورد النزاع ٧٣
- ١٧ - فصل: الهجرة المشروعة ٧٤
- المقصود من الهجرة والهجر أمران: ٧٤
- أحدهما: اشتمال ذلك على أداء الواجبات وترك المحرّمات ٧٤
- الثاني: تضمّنها نهْيُ المهجور وتعزيزه وعقوبته ٧٥
- الأول تحقيق التقوى، والثاني تحقيق الجهاد ٧٥
- الفرق بين الهجرتين في الأحكام ٧٦
- منهج أهل الحديث في هجرة الداعية إلى البدع من الكلام أو
الرأي أو العبادة ٧٦
- ١٨ - قاعدة في جماع الدين ٧٧
- حكمة إنزال الكتاب والميزان والحديد ٧٧
- أكثر الأحاديث عن النبي ﷺ في الصلاة والجهاد ٧٧
- أيهما أفضل: كثرة الركوع والسجود أو طول القيام؟ ٧٨
- خواصّ الأمة صنفان: العلماء أهل القرآن، والأمراء أهل السيف ٧٨
- «القراء» اسم يجمع أهل العلم والدين ٧٩

- ٧٩ - فضل المجاهد
- ٨٠ - تقسيم الناس في دولة المغول
- ٨١ - ١٩ - فصل: اختلفوا في مسمى الإنسان
- ٨١ - هل هو الجسد أو الروح أو اسم للمجموع؟
- ٨١ - القول الثالث هو الصواب
- ٨١ - معنى صفة «النطق» عند الإنسان
- ٨٢ - أمثلة من إضافة الكلام إلى النفس والقلب
- ٢٠ - فصل: قال الله تعالى فيما ذكره من موعظة لقمان لابنه:
- ٨٣ ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾
- ٨٣ - فعل الإنسان وسائر الحيوان إما حركة وإما صوت
- ٨٣ - سبب ذم الغناء والنوح
- ٨٣ - كل واحد من الصوت والحركة ينقسم إلى محبوب ومكروه
- ٨٤ - المواطن التي يُستحبُّ فيها خفض الصوت
- الرقص والحركات خلاف القصد في المشي، والغناء خلاف
- ٨٤ - غَضُّ الصوت
- ٨٥ - الانحراف عند النصارى في باب الغناء
- ٨٦ - أصله من الصابئة الفلاسفة
- ٨٧ - تأثير الشيطان على المتصوفة بآفتي السماع والعشق
- خمر الجسم هي الشراب، وخمر النفس هي الصور، وخمر
- ٨٧ - الأرواح الصوت المطرب
- ٨٨ - وقوع ابن سينا وأتباعه في الشرك والاستغاثة بالموتى

- ٨٨ - سبب ذلك الخروج عن شريعة نبينا محمد ﷺ
- ٨٩ - السماع الشرعي
- ٢١ - قاعدة: أن النفس بل وكل حيّ له قوتان: قوة الحب وقوة
- ٩٠ البغض
- ٩٠ - تحت هذين الجنسيتين أنواع
- ٩٠ - كل وعد ووعد في القرآن فهو ترغيب وترهيب
- ٩١ - المقصود بالقصد الأول فعل المحبوب، وهو عبادة الله وحده
- ٩٢ - لا يتم ذلك إلا بدفع المكروه
- ٩٢ - اجتماع المكروه والمحبوب وأثره
- ٩٣ - المحبة هي الأصل والعمدة، والبغض هو الفرع والتابع
- ٩٤ - أهمية التقوى
- - انحراف جماعة من الفقهاء والمتكلمين والصوفية والمتعبدین
- ٩٤ في باب المحبة
- - مناسبة وصف الغضب واللعنة للموسوية ووصف الضلال
- ٩٥ والغلو للعيسوية
- ٢٢ - فصل: باعتبار القوى الثلاث انقسمت الأمم (العرب والروم
- ٩٦ والفرس)
- - غلب على العرب القوة العقلية، وعلى الروم القوة الشهوية،
- ٩٦ وعلى الفرس القوة الغضبية
- ٩٦ - الدلالة على ذلك بالاشتقاق

- باعتبار هذه القوى كانت الفضائل ثلاثاً: العقل والشجاعة
والسخاء ٩٧
- العدالة صفة منتظمة للثلاث، وهي الاعتدال فيها ٩٧
- باعتبار القوى الثلاث كانت الأمم الثلاث: المسلمون واليهود
والنصارى ٩٨
- مشابهة الصوفية والفقهاء بالنصارى واليهود في صفاتهم ٩٩
- جنس القوة الشهوية: الحب، وجنس القوة الغضبية: البغض ٩٩
- الحبّ والبغض هما الأصل ٩٩
- فعل المأمور وترك المنهيّ عنه يصدر عنهما ١٠٠
- ٢٣ - فصل: المشهور عند أهل السنة أنه لا يُحِبُّ العملَ إِلَّا الكفْرُ ١٠١
- دلالة نصوص القرآن على ذلك ١٠١
- قول المعتزلة بتخليد الفاسق المَلِيّ ١٠١
- الفسق عند أهل السنة لا يُحِبُّ جميع الأعمال بل يُحِبُّ بعضها ١٠٢
- الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة ١٠٢
- ٢٤ - فصل: قوله: ﴿ذَلِكَ أَدْفَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ
- تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾ ١٠٤
- الردّ هنا بمعنى الترديد والتكرير ١٠٤
- الاشتقاق الأكبر والأوسط والأصغر ١٠٤
- اهتمام بعض المؤلفين بهذا الموضوع ١٠٥

٢٥ - فصل: في حديث الكرب: «... أن تجعل القرآن ربيع

- قلبي...» ١٠٦
- الربيع هو المطر المنبت للربيع ١٠٦
- الحياة والنور جماع الكمال ١٠٦
- «الحيّ» مستلزم لجميع الصفات، وهو أصلها ١٠٧
- سبب الجمع في هذا الدعاء بين ما يوجب الحياة والنور ١٠٨
- ## ٢٦ - فصل: أن طريقة أتباع الأنبياء هي الموصلة إلى الحق دون

- طريقة غيرهم ١٠٩
- المقصود هو العلم، وطريقه هو الدليل ١٠٩
- الأنبياء جاءوا بالإثبات المفصل والنفي المجمل ١٠٩
- الفلاسفة جاءوا بالنفي المفصل وأثبتوا الوجود المجمل ١٠٩
- العلم بالعدم يحصل بواسطة العلم بالموجود ١٠٩
- العلم بالموجود وصفاته هو الأصل ١١٠
- لا بدّ في كل دليل عقلي من إيجاب وعموم ١١١
- العلم بالسلوب لا يستقل في المسائل والأحكام ولا في الوسائل والأدلة ١١١
- الإرادة والعمل مثل العلم والقول في هذا الأمر ١١٢
- المطلوب بالنهي هل هو نفس العدم أو الامتناع الذي هو أمر وجودي؟ ١١٢
- ## ٢٧ - فصل عظيم المنفعة في أمر المعاد ١١٣
- الإيمان بالقيامة وبنعيم القبر وعذابه ١١٣

- معنى «الساعة» في السنة ١١٣
- معاد الأرواح والأبدان جميعاً ١١٤
- مذهب كثير من الجهمية والمعتزلة: تكذيب ما في البرزخ من
النعيم والعذاب ١٤٤
- مذهب الفلاسفة: تكذيب القيامة العامة، والإقرار بمعاد الأرواح
دون الأبدان ١٤٤
- الرد على الطائفتين في القرآن ١١٥
- ذكر القيامة الكبرى مع الصغرى (التي هي الموت) في عدة سور ... ١١٥
- تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٦١﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ ١١٧
- تفسير قوله تعالى: ﴿وَالنَّفْسَ السَّاقِطَ بِالْسَّاقِ ﴿٦٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ ... ١٢٠
- معنى النفس «اللّوامة» ١٢٤
- معنى النفس «الأُمارة» و«المطمئنة» وخطأ الصوفية في ذلك ١٢٧
- ٢٨ - فصل: قول من يقول: «إن الله عبادة يرضى لرضاهم ويغضب
لغضبهم» حق ١٢٩
- هذا في غالب رضاهم وغضبهم، ويقع في الطرفين ١٢٩
- حديث «من عادى لي ولياً...» ومعناه ١٢٩
- ٢٩ - فصل: الحروف والأصوات المكتوبة والمسموعة ثلاثة
أقسام ١٣٢
- إما أن تكون سبباً للإيمان أو للكفر أو تكون مجملّة ١٣٢
- الأول كلام الله وكلام رسله وأنبيائه وخلفائهم ١٣٢
- الثاني الكلام المتضمن للكفر والنفاق ١٣٣

- مثاله كلام القرامطة والإسماعيلية والملاحدة: التلمساني وابن
 ١٣٣ سبعين والبلباني وغيرهم
- اعتقادهم أن الله هو المخلوقات ١٣٣
- ضررهم على الأمة أشد من فرعون ١٣٣
- آراء الاتحادية: (ابن العربي والصدر الرومي والتلمساني) في الله ... ١٣٤
- الفرق بينهم وبين من قال بالاتحاد الخاص كالنصارى
 والروافض وغيرهم ١٣٥
- عقيدة الحلول عند الجهمية ١٣٦
- سبب ضلال الاتحادية والحلولية ١٣٦
- متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئاً، ومتعبدتهم يعبدون كل شيء ١٣٦
- وجود الرازي وابن العربي في مبدأ دولة التتار وضلالهما ١٣٧
- اختلاف أهل الحلول الخاص من النصارى في المسيح ١٣٧
- رأي أهل الاتحاد المطلق ١٣٧
- بعض شعرهم في هذا الباب ١٣٨
- القسم الثالث: المجمل من الحروف والأصوات، مثل شعر
 الحب لابن الفارض ١٣٨
- الخلاف في شرحه وتفسيره، وبيان منهج قائله ١٣٩
- الأصوات المثيرة للوجد والطرب ١٣٩
- حدوث السماع في أواخر المئة الثانية وامتناع أكابر العارفين
 والأئمة عن حضوره ١٤٠
- مفاصد الدخول في الحروف والأصوات المجملة ١٤١

- أصل الصابئة: الحروف والأصوات المجملة المشتركة ١٤٢
- الأصل فيها أنها غير مشروعة ولا مأمور بها ١٤٢
- ٣٠ - فصل: في بعض الشرح والتقرير لقاعدة السنة والجماعة ١٤٣
- استنباط السنة والجماعة من آية سورة النساء (٥٩) ١٤٣
- الدين أمر ضروري لبني آدم، لا يمكن أن يعيشوا بدونه ١٤٣
- اجتماعهم ضروري لاحتياجهم إلى الطعام واللباس ١٤٤
- حاجتهم إلى الإمارة ورعاية الأموال ودفع الأعداء والنكاح وغير ذلك ١٤٥
- لا بدّ لهم من إله هو معبودهم ومنتهى حركاتهم وإراداتهم ١٤٦
- الحاجة إلى السيد المطاع والرئيس أو الإمام ١٤٦
- رسل الله المبعوثون إلينا أحقّ بالاتباع والطاعة من غيرهم لوجوه ... ١٤٦
- هدايتهم وإرشادهم هو هداية الله وإرشاده ١٤٦
- هذه الهداية والرئاسة كاملة العلم، ليس فيها نقص علمي ١٤٧
- إنها كاملة الرحمة ١٤٧
- إنها كاملة الغنى، ليس فيها هوى نفس ١٤٧
- إنها كاملة القدرة والسلطان، فإن ناصرها ومؤيدها هو الله ١٤٧
- كلُّ رئاسة وإمامة (سواء كانت علمية أو دينية أو حربية أو مالية) تابعة للكتاب والسنة ١٤٨
- أمر ولاية الأمور بالردّ إلى الله والرسول ١٤٨

٣١ - فصل: قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ

- ءَادَمَ ... ﴿..... ١٤٩
- تلازم العلم التام والعمل ١٥٠
- الكلام على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي
- الْعِلْمِ يَقُولُونَ ... ﴿..... ١٥١
- معنى الآية على الوجهين في الوقف ١٥١
- معنى التأويل في القرآن ١٥٣
- التأويل بمعنى تأويل الأمر والنهي ١٥٥
- وجه الذم في ابتغاء التأويل ١٥٧
- معنى المتشابه والمحكم ١٥٨
- ٣٢ - فصل: في المثل والكفو في الكتاب والسنة ولغة العرب ١٥٩
- اعتبار الكفو في النكاح وغيره ١٥٩
- الأجسام ليست متماثلة ١٦٠
- لا يجوز حمل نصوص الكتاب والسنة وكلام السلف على
- اصطلاح حادث ١٦٠
- ٣٣ - أصل كليّ جامع [في الشهادتين] ١٦٢
- الشهادتان أصلاً للإسلام ١٦٢
- تواتر نصوص الكتاب والسنة على ذلك ١٦٣
- وجوب الشهادتين في الأذان والإقامة والتشهد والخطب ١٦٤
- أنواع الخطبة ١٦٥

- ١٦٧ الشهادة ركن في الخطب الواجبة
- ١٦٨ الموازنة بين الشهادتين والصلاة على النبي ﷺ
- ١٦٨ الخلاف في وجوب الصلاة عليه في الخطبة
- ١٦٩ اقتران الحمد بالصلاة عليه لا يوجد إلا في كتب المراسلات
- ١٧٠ لا بدّ في الخطبة من ذكر الله وذكر رسوله
- ١٧١ الشهادة أول الواجبات في الدين
- ١٧١ خطأ المتكلمين في إيجاب النظر أو غيره قبل الشهادة
- ١٧٢ نشأة هذا الغلط من المعتزلة القائلين بأن العقل بمجردده يوجب
- ١٧٢ الشهادة أفضل العبادات وأرفع العلوم وأجل الطاعات
- ١٧٢ خصائص الشهادتين وفضلها
- ١٧٣ الكلمة الطيبة العليا: لا إله إلا الله
- ١٧٣ معنى الإله
- الشرك عبادة إله سواه، وإن كان العابد يعتقد ذلك خلقاً من مخلوقاته
- ١٧٣ ذم المشركين في القرآن، واعتقادهم في الشركاء
- ١٧٤ المقصود بالشهادة سلب ألوهية ما سوى الله عن القلب
- ١٧٥ أنواع الشرك
- ١٧٦ كفر الاتحادية القائلين بأن الله هو الوجود
- ١٧٦ كلام ابن العربي في «الفصوص»
- ١٧٧ الاتحادية أخص من النصارى
- ١٧٨ من بدع ضلالهم وكفرهم

- منشأ التلييس ١٧٨
- التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ١٧٩
- الملاحدة الإسماعيلية أكفر من المشركين والصابئة من ثلاثة
أوجه ١٧٩
- الخلاف بين ابن عربي والقونوي والتلمساني في ماهية الله ١٨٠
- * حكاية المناظرة في الواسطية ١٨١
- مسألة الحرف والصوت وكلام الله ١٨٤
- الإيمان قول وعمل ١٨٥
- الاستواء على العرش على الحقيقة وعدم منافاته للقرب والمعية ١٨٦
- مذهب السلف إجراء الصفات على ظاهرها مع نفي الكيفية
والتشبيه عنها ١٨٧
- مسألة الفوقية ١٨٧
- شرح قول بعضهم: إن الظاهر غير مراد ١٨٩
- صفة العلو هل هي صفة كمال؟ ١٩١
- إمهال المخالفين ثلاث سنين أن يأتوا بحرف واحد عن السلف
يناقض المُنْبَت في العقيدة ١٩٢
- ليس هذا اعتقاد أحمد بن حنبل فقط بل جميع سلف الأمة ١٩٣
- الكلام على قوله تعالى: ﴿فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ هل هو صفة أم لا؟ ١٩٣
- لم يثبت عن الإمام مالك أنه أوَّل حديث النزول ١٩٤

- ما رُوي عن الإمام أحمد في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ ١٩٥
- اعتراف الحاضرين بأنه ليس في شيء مما ذُكر في العقيدة كفر أو فسق ١٩٦
- كراهة مالك رواية أحاديث الصفات ١٩٦
- ذم الذين يتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل ١٩٧
- حديث: «إن الله ينادي يوم القيامة بصوت» ١٩٨
- * فصل: أصل الإيمان والهدى ودين الحق هو الإيمان بالله**
- ورسوله** ١٩٩
- أول ما يؤمر به الخلق: الشهادتان ٢٠١
- أهمية الشهادتين وسرد الآيات في ذلك ٢٠٢
- سورة البقرة جماعها في تقرير الرسالة ٢٠٥
- تقرير الرسالة في سور أخرى من القرآن ٢٠٦
- الإيمان بالله ورسوله هما المقصود والوسيلة ٢٠٧
- من أقر بالخالق ولم يؤمن بالرسول لم يعلم ما يحبه الله ويرضاه ولا ما يكرهه وينهى عنه ٢٠٧
- من لم يهتد بنور الرسالة يقع في الشبهات والإشكالات والاختلاف والتفرق ٢٠٧
- ذكر الآيات الدالة على ذلك ٢٠٧
- ضلال أهل الكتاب والصابئة والفلاسفة والمبتدعة في هذا الأصل ٢٠٩

- كل من خرج عن الدين العام فهو من أهل التفرق والاختلاف ٢١٠
- الإيمان بالله وباليوم الآخر غايتان، والإيمان بالرسول والعملُ الصالح وسيلتان ٢١٠
- قتال أهل الكتاب لخروجهم عن هذه الأصول ٢١١
- وجوب الإيمان بخاتم النبيين وطاعته واتباعه ٢١١
- شرح معنى «الهدى» ٢١٣
- كلام الله أصدق الكلام وهدى النبي ﷺ أحسن الهدى ٢١٥
- المهتدي من جميع الطوائف هو المتبع لكتاب الله والمستقيم منهم هو المتبع لهدى رسول الله ٢١٦
- هذا الأصل يُقرّ به المؤمنون جملةً ولكن قد يغيب عنهم تفصيله ٢١٦
- أحدث المتأخرون كلامًا وأقوالاً وأفعالاً وأحوالاً فيه اشتباه وإجمال ٢١٧
- يجب ردُّ جميع ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول ٢١٧
- * فصل: وصف الله أفضل أهل السعادة بالإيمان والهجرة**
- والجهاد ٢١٩**
- معنى «الهجرة» ٢٢١
- وجه تخصيص المهاجرين والأنصار بهذا الاسم ٢٢٢
- أمثلة مما يذكر مفردًا ومقرونًا في القرآن والمراد بها ٢٢٣
- مجاهدة العدو الظاهر والباطن لا بدّ فيه من احتمال المكروه وبذل المحبوب ٢٢٥
- وقوع الإنسان في الذنوب والفتن ٢٢٦

- ٢٢٧ - سبب كون الجهاد سنام العمل
- صبر المؤمن على مفارقة المحبوب واحتمال المكروه باختياره
- ٢٢٨ أفضل من الصبر على المصائب التي لا حيلة له في دفعها
- ٢٢٩ - أمثلة من النوعين
- ٢٣٠ - بعض الآيات الواردة في هذا الباب
- ٢٣٢ - صبر أولي العزم
- هجر السيئات فرض على كل أحد، وهجر المباحات إن لم يتم
- ٢٣٣ الواجب إلا به كان واجبًا
- ٢٣٥ * فصل: في الكلام على النعم، وهل هي للكفار أيضًا؟
- قول المعتزلة: إن ما نعم به الكافر فهو نعمة تامة كما نعم به
- ٢٣٧ المؤمن
- قول بعض أهل السنة: ليس لله على الكفار نعمة دنيوية كما ليس
- ٢٣٧ عليه نعمة دينية محضة
- ٢٣٨ - قول بعض أهل السنة: لله على الكافر نعمٌ دنيوية
- دلالة القرآن على امتنان الله على الكفار بنعمه ومطالبته إياهم
- ٢٣٨ بشكرها
- فساد قول القائلين بأن الكفار لم يجب عليهم شكر الله؛ إذ لم
- ٢٣٨ يكن قد أنعم عليهم عندهم
- ٢٤٠ - احتجاج هؤلاء ببعض الآيات
- قالوا: لو كانت هذه نعمًا مطلقًا لكانت نعمة الله على أعدائه في
- ٢٤١ الدنيا أعظم من نعمته على أوليائه

- كلام المؤلف على هذه المسألة ٢٤٢
- هذه اللذات تارة تكون بمعصية ٢٤٢
- تارة تكون بغير معصية من العبد ٢٤٣
- أمر الله بالشكر مع أكل الطيبات ٢٤٣
- إذا ترك العبد ما وجب عليه في نعمته من حق استحق العذاب ٢٤٤
- هي نعمة من وجه دون وجه، ليست من النعم المطلقة ولا هي
خارجة عن جنس النعم ٢٤٤
- الاستدلال على ذلك ببعض الآيات ٢٤٥
- خوارق العادات ليست عند أهل التحقيق كرامة مطلقة، وإنما هي
مما يبتلي الله بها عبده ٢٤٥
- هذه النعمة في باب الأمر والشرع نعمة يجب الشكر عليها، وفي
باب الحقيقة القدريّة لم تكن إلا فتنة ومحنة ٢٤٦
- مقصود الابتلاء بالحلو والمر ٢٤٦
- الأعمال بخواتيمها ٢٤٨
- ما ظاهره نعمة قد يكون سبباً للعذاب، وما ظاهره عذاب قد
يكون سبباً للنعيم ٢٤٨
- الأمر والنهي يتعلق بالشيء الحاصل، والقضاء والقدر باعتبار
الحقيقة الآجلة ٢٤٨
- اختلاف الأشاعرة والمعتزلة في هذا الباب ٢٤٨
- الناس بالنسبة لصلاحهم على السراء والضراء أربعة أقسام ٢٤٩
- التمتع العاجل ليس بنعمة في الحقيقة ٢٥٠

- ٢٥٠ احتياج العبد في كل وقت إلى الاستعانة بالله على طاعته
- ٢٥١ وصف المؤمنين بأنهم صابرون في البأساء والضراء وحين البأس
- ٢٥٢ من لم يتصف بحقيقة الإيمان هو إما قادر وإما عاجز
- ٢٥٢ المؤمن في حالتي القدرة والعجز
- ٢٥٣ سبب غلط أكثر الناس في هذا الباب
- ٢٥٣ اختلاف الناس في مسألة القدر ومصلحة الخلق والأمر
- ٢٥٣ قول المعتزلة والأشاعرة في ذلك
- ٢٥٥ قول الأشاعرة: إن الله يخلق الخلق لا لحكمة
- ٢٥٥ قولهم: إن كلَّ مقدورٍ عليه ليس بظلم
- ٢٥٥ زعمهم: أنه قد يأمر العباد بما لا يكون مصلحة لهم
- ٢٥٥ إنكارهم العلل المناسبة للأحكام
- ٢٥٦ تجويزهم أن لا يكون للعبد ثواب ومنفعة في فعل المأمور به
- ٢٥٦ مناقشة آرائهم
- ٢٥٨ الحق في هذه المسألة وذكر الأدلة من الكتاب والسنة على ذلك
- ٢٦٢ حال كثير ممن يُشبه اليهود من المتفقهة والمتكلمة
- ٢٦٤ معنى المجيء إلى الرسول في حياته وبعد مماته
- ٢٦٦ المشروع الذي وردت به السنة في هذا الباب
- ٢٦٧ الرضا بأمر الله وبقضائه
- ٢٦٩ * فصل في آية الربا
- ٢٧١ تفسير قوله: ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾
- ٢٧٢ معنى قوله: ﴿وَإِنْ تُبْتِغْ فَلَکُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِکُمْ﴾

- ثلاثة أحوال للمسلم في ذلك ٢٧٣
- حكم الخطاب هل يثبت في حق المسلم قبل بلوغ الخطاب؟ ٢٧٣
- أمثلة على ذلك ٢٧٤
- هل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾
- خاص بالكافر الذي يسلم ٢٧٦
- حكم ما قبضه المسلم من الربا بتأويل أو جهل ٢٧٩
- حكم ما قبضه المسلم مع العلم بالتحريم ثم تاب ٢٧٩
- أصل الربا هو الإنشاء ٢٨١
- الربا نوعان: جلي وخفي ٢٨١
- ربا النساء من الجلي ٢٨٢
- حكمة تحريم الربا ٢٨٢
- تحريم ربا الفضل لسد الذريعة ٢٨٢
- تنازع السلف والخلف في ربا الفضل ٢٨٣
- اتفاق الناس على تحريم ربا الفضل في الأعيان الستة ٢٨٤
- اختلافهم في غيرها ٢٨٥
- العلة في الدراهم والدنانير: الثمن، وهو المعيار الذي يُعرف به
- تقويم الأموال ٢٨٥
- المصلحة في الأصناف الأربعة أن لا يُتجر في بيع بعضها ببعض ٢٨٨
- سبب تحريم ربا الفضل ٢٨٩
- خفاء علة تحريم الربا على ابن عباس وابن مسعود ٢٩٠
- حكم بيع المصوغ من الدراهم والدنانير بجنسها وبغير جنسها ٢٩١

- ما حُرِّم لسدِّ الذريعة أبيح للمصلحة الراجحة ٢٩٢
- أمثلة على ذلك ٢٩٢
- أواني الذهب والفضة وصيغتها محرمة ٢٩٥
- المصنوع من الأصناف الأربعة إن خرج عن كونه قوتًا لم يكن من الربويات، وإن كان قوتًا كان جنسًا قائمًا بنفسه ٢٩٦
- مسألة «عَجِّلْ لي وأضعُ عنك» ٢٩٦
- حديث النهي عن بيع الكالئ بالكالئ ٢٩٧
- بطلان حديث النهي عن بيع وشرط، وحديث النهي عن قفيز الطحان ٢٩٩
- النهي عن بيع الطعام قبل القبض والاستيفاء ٣٠٠
- اختلاف العلماء في تعليل هذا النهي ٣٠٠
- الربا البين الذي لا ريب فيه هو ربا النسيئة ٣٠٤
- المعاوضة ثلاثة أنواع (الانتفاع والتجارة والربا) ٣٠٤
- اضطراب الناس في بيع ما لم يقبض والنهي عنه وتخصيصه ٣٠٩
- الربا هو أخذ مالٍ زائد بلا عوضٍ يقابله ٣١٣
- إذا اجتمع ربا الفضل والنساء في جنس واحد حَرِّم ٣١٥
- حكم قرض الشيء بمثله مع التأخير ٣١٦
- ربا الفضل بلا نساءٍ أشكل على السلف والخلف ٣١٨
- اختلافهم في ذلك ٣١٨
- الفرق بين الحيل وسدِّ الذرائع ٣١٩
- سفر المرأة مع غير ذي محرم يجوز لرجحان المصلحة ٣٢٠

- النظر إلى الأجنبية ٣٢١
- قول النبي ﷺ لحكيم بن حزام «لا تبع ما ليس عندك» ٣٢٢
- اختلاف الناس في معنى الحديث ٣٢٢
- الراجح من هذه الأقوال ٣٢٣
- اختلاف الناس في المبيع الحال والغائب ٣٢٥
- الخطر خطران: خطر التجارة وخطر الميسر ٣٢٨
- * فصل في أنه ليس في القرآن لفظة زائدة لا تفيد معنى ٣٣١
- سرد الآيات التي يؤهم ظاهرها خلاف هذا ٣٣٣
- الجواب أنه ليس في شيء منها ما يخالف القاعدة ٣٣٦
- الكلام على كل آية آية ٣٣٦
- * فصل في توبة قوم يونس ٣٦١
- هل هي مختصة بالقبول دون سائر من يتوب؟ ٣٦٣
- اختلاف المفسرين في ذلك ٣٦٣
- الصواب أنها ليست خاصة بهم ٣٦٤
- ذكر الأدلة على ذلك ٣٦٤
- العذاب نوعان: عذاب يتيقن معه الموت وعذاب لا يتيقن معه ٣٦٥
- الموت ٣٦٥
- عذاب الله ثلاثة أنواع ٣٦٦
- ما روي أنه غشيهم العذاب كالغمام الأسود لم يثبت عن النبي ٣٦٦
- ﷺ ٣٦٩
- الكلام على استثناء الله قوم يونس، وأنه منقطع ٣٧٠

- معنى ﴿فَلَوْلَا﴾ في الآية: فهلاً للدلالة على التحضيض ٣٧١
- الكلام على قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكَ﴾ ٣٧٤
- المفسرون من السلف يفسرون المعنى، لا يتكلمون في دلالة العربية؛ لأن العربية عاداتهم وطبعهم ٣٧٨
- قولان فاسدان في تفسير ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُوْشَسُ﴾ ٣٧٩
- كل من آمن وتاب بعد نزول العذاب نفعه إيمانه، ومن لم يتب أو تاب توبةً كاذبة لا ينفعه ٣٨٠
- التوبة عند حضور الموت كالتوبة يوم القيامة ٣٨١
- معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْزَادُوا كُفْرًا﴾ ٣٨١
- عدم قبول توبة الزنديق ٣٨٤
- كل من تاب قبل الرفع إلى الإمام لم يُقَمَّ عليه الحد ٣٨٥
- صاحب البدعة لا يتوب منها لأنه يراها حسنة ٣٨٨
- البدعة أحب إلى إبليس من المعصية ٣٨٨
- قوله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ و«عسى» من الله واجب ٣٩١
- * مسألة عن رجل يزعم أنه شيخ ويتوب الناس ويأمرهم بأكل الحية ٣٩٣
- هذا مبتدع ضال مستحق للعقوبة ٣٩٥
- من أمر مريديه بدخول النار فهو شيخ ضال مبتدع ٣٩٦
- توليّه النساء والصبيان والرجال بحيث يزول عقلهم من المحرّمات ٣٩٧

- ٣٩٨ - الأحوال الشيطانية عند هؤلاء الشيوخ
- ٣٩٩ - من اعتقد أنهم من الأولياء المتقين فهو أبعد عن دين الإسلام
- ٤٠٠ - لا يوجد من هؤلاء إلا من هو خارج عن الكتاب والسنة
- - هؤلاء الذين يقترون بهم الجن في غير ما أمر الله به ورسوله، وهم
- ٤٠٠ ثلاثة أصناف بحسب قرناتهم من الجن
- ٤٠٢ - يجب استتابتهم وعقوبة من لم يتب منهم
- ٤٠٦ * مسألة في النسبة إلى الخرقه
- ٤٠٧ - إن الله خلق الخلق لعبادته وبعث إليهم الرسل
- ٤٠٨ - فرض الله الإيمان بخاتم النبيين على أهل الأرض جميعاً
- - جعل من أمته أولي أمرٍ يرجع الناس إليهم في صلاح دينهم
- ٤٠٨ ودنياهم
- ٤١٠ - تفرق الأمر في أنواع من ولاية الأمور بعد الخلفاء الراشدين
- ٤١٠ - أولاهم بالله ورسوله أشدُّهم اتباعاً للكتاب والسنة
- - لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق، والويل لمن اتبع
- ٤١١ الأكابر فيما خرج عن سنن المرسلين
- ٤١١ - السعداء صنفان: سابقون ومقتصدون، وغيرهم أهل شقاوة
- ٤١٣ * مسألة في الحضانة
- ٤١٥ - رسالة الشيخ إلى الأمير أسد الدين (في رمضان سنة ٧٠٣)
- ٤١٧ - الحضانة للأم ما لم تتزوج
- ٤١٨ - المطلوب إيصال الحق إلى مستحقه
- ٤٢١ - لا ينبغي لأحد أن يزوّج المرأة إلا بإذنها

- ٤٢٢ - تصرّف الولي في بضع وليته كتصرفه في مالها
- ٤٢٥ * مسائل مختلفة
- ١ - سئل عمن تصيبه جنابة والماء يضره، أو يكون مجروحًا، هل يجوز له أن يصلي بالتيمم أو يقرأ القرآن؟ ٤٢٧
- ٢ - مسألة في رجل دخل في الصلاة وقد أحرم الإمام، ثم ركع الإمام وقد قرأ الرجل بعض الفاتحة، ولم يتبع الإمام في الركوع حتى قرأ بقية الفاتحة ٤٣٢
- ٣ - مسألة في رجل أدرك الصلاة مع إمام، فلم يصل معه، وقال: أنا لا أصلي إلا خلف من يكون من أهل مذهبي، وفي رجل سئل عن مذهبه فقال: مذهبي اتباع الكتاب والسنة، وفي رجل عُرِض عليه حديث صحيح فأنكره ٤٣٤
- ٤ - مسألة في جماعة حنفية لهم إمام شافعي، فهل تصح صلاتهم خلفه أم لا؟ ٤٤٣
- ٥ - مسألة في إمام مدمن الخمر، هل تصح الصلاة خلفه؟ وما صفة مدمن الخمر؟ ٤٤٨
- ٦ - مسألة عن امرأة لم تكن تعرف تصلي، أين تكون من زوجها في الآخرة؟ وهل العذاب على النفس والبدن والروح أم على واحد دون الآخر ٤٤٩
- ٧ - مسألة في عرب البادية الذين يكونون دائمًا في حل وترحال، هل يحلُّ لهم القصر؟ ٤٥١

- ٨- مسألة فيمن قتلَ وتمكن أولياء المقتول من القود، هل يعود المقتول يطالب في الآخرة أم لا؟ ٤٥٢
- ٩- مسألة في رجلٍ كثير الحسنات كثير السيئات، هل تُكتب حسناته وسيئاته أم يُذهب بعضهن بعضًا؟ ٤٥٢
- ١٠- مسألة في اليتيم والأرملة هل هما من أهل الزكاة أم لا؟ ٤٥٢
- ١١- مسألة فيمن يستمني بيده هل هو زنا أم لا؟ وماذا يجب عليه إذا فعل ذلك؟ ٤٥٣
- ١٢- مسألة في التَّين هل يجب عليه عُشْرُ أم لا؟ ٤٥٣
- ١٣- مسألة فيمن يأكل الحرام ويترك الصلاة، هل يجوز أن يُعطى الزكاة أم لا؟ ٤٥٣
- ١٤- مسألة في المسافر إذا نزل في موضع وهو يعلم أنه يُقيم فيه عشر ليالٍ وأكثر، فهل يجوز له أن يَقْصُرَ ويجمع أو يُتِمَّ؟ ٤٥٤

